صَبْيا

صبيا محافظة عامرة من محافظات منطقة جازان الكبيرة ذات الأسواق التجارية النشطة. وهي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة جازان على خط الطول ٣٧ َ ٤٢ْ شرقاً ودائرة العرض ٩ ٠ َ ١٧ْ شمالاً، وتبعد عنها بحوالي ٤٠كم. لم يكن استيطان صبيا موغلاً في القدم، إذ يعود إلى سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م، على يد أحد أمرائها من الأشراف الخواجيين، ويدعى دريب بن مهارش الخواجي. وكان موقع صبيا القديم قبل ذلك، في طرف واديها من الغرب، في المكان المعروف باسم أبو دنقور، وهو من المواقع الأثرية القديمة المطمورة تحت الأرض. وحول صبيا أيضاً عدد من المواقع الأثرية المهمة التي تتباين في وضوح معالمها، وتختلف في اتساع مساحاتها، وطول فترات الاستيطان بها.

الإدريسية: على أن الذي يعنينا من المواقع الأثرية القريبة من صبيا، هو الإدريسية، ذلك الموقع الذي اختطه مؤسس الدولة الإدريسية، السيد محمد بن علي الإدريسي سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩-١٩٢٠م، ويقع إلى الشمال الشرقي من مدينة صبيا الحالية بمسافة لم تعد كبيرة الآن، بسبب اتساع العمران بين صبيا والإدريسية. وتقع الإدريسية على يسار الطريق المزفت للقادم إلى المنطقة من مكة المكرمة، ومحاطة تقريباً بسياج منيع أقامته الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف، كما أقامت متحفاً حديثا للآثار والتراث في الطرف الجنوبي من الموقع.

والإدريسية -كما يتضح من تاريخها- مدينة حديثة النشأة، إلا أنها الآن في عداد المواقع الأثرية، لأنها مهجورة تماماً، ولم يبق منها إلا بعض أطلالها من المباني الآيلة للسقوط. ومبانيها نماذج فريدة في طرزها،

أطلال المنازل في خرائب مدينة صبيا القديمة

وأساليب بنائها، ولها قيمة معمارية مهمة لدارسي آثار المنطقة وتراثها المعماري، لأنها من الأدلة القليلة القائمة التي يمكن من خلالها التعرف على طراز البناء في تلك المنطقة التي تتميز جدران أبنيتها باستخدام الآجر بالتعاقب مع كتل الأحجار البركانية. ويفسر هذا الطراز في البناء على أساس أن الآجر يقوم بالدور نفسه الذي تقوم به الروابط المتخذة في العادة من الأخشاب، والمستخدمة بين المداميك لإراحة البناء، وضبط وزنه واستقامته. ولعل استخدام الآجر بدلاً من الخشب يرجع إلى ما عرفت به المنطقة من انتشار دابة الأرض، أي الأَرَضَة وهي آفة كل شيء من خشب ونبات. كما تتميز العمارة المنسوبة إلى تلك الفترة، باستخدام أشكال متنوعة من العقود واستخدام الثريات، والخزائن، والخوخات الجدارية التي تجمّل صدور الغرف، وتزدان بالتحف والمعروضات المختلفة. كما استخدم الجص والملاط على نطاق واسع في زخرفة مباني الإدريسية من الداخل والخارج، وكذا الألوان الزاهية، والأشرطة الكتابية المتقنة التي تشاهد بقاياها، مع بقايا بعض الأعمال الزخرفية الرائعة في واجهات المباني، وحول الأرفف والخوخات والخزائن والعقود الداخلية، إلا أن ذلك كله في طريقه إلى الزوال، وهو يتناقص يوماً بعد يوم، ما لم

تتم صيانته وترميمه. وما تزال الإدريسية تحتفظ بعدد من الأبنية القائمة التي تعكس أسلوب عمارة تلك الفترة الزمنية، وفنها الزخرفي، ورفاهية أهلها.

الصَّريف

يقع الصريف على خط الطول ١٢َ ٤٤ْ شرقاً ودائرة العرض ٣٥َ ٢٦ْ شمالاً، في شرقي منطقة القصيم إلى الغرب من بلدة النبقية. وهو روضة تحيط بأطرافها الرمال، حدّه الغربي مرتفعات صخرية، والشرقي رمال. ولا يستبعد بعض الباحثين أن اسم الصريف جاء من انصراف القوافل عند ذلك الموقع إلى إحدى القريتين: القرية أو العسكرة. ثم يلتقي الطريقان بعد ذلك في العسكرة، لتواصل القوافل سيرها إلى رامة حتى تصل إلى مكة المكرمة.

وتُعدّ الصريف استراحة صغيرة لقوافل الحج والتجارة على طريق الحج البصري، ما بين النباج والعوسجة. ويمر قربها وادي الرمة، وتبعد عن الأسياح حوالي ١٧كم. ويكاد الموقع يكون خالياً من الآثار والمباني أو المنشآت المائية.

والصريف منطقة رعوية غنية بالأعشاب تضم بعض الآبار، والمباني الطينية، وبعض القبور. ويعتقد أن الصريف استمر استراحة صغيرة لقوافل الحجاج والتجار، ومعبراً تسلكه القوافل إلى العوسجة والقريتين. أما المقابر فيُعتقد أنها قبور للبادية أو قتلى وقعة الصريف ١٣١٨هـ، وهناك من يعتقد أنها قبور من قاتلوا سلطان مارد الذي سيطر على الأسياح، وربما تعود القبور إلى تاريخ يسبق تاريخ وقعة الصريف أو عهد سلطان مارد.

جاء في كتاب المناسك «أن على عشرة أميال من النباج بلد لبني أسيد، قَفٌّ يعترض الطريق مرتفع، به نخل، يقال له الصريف، للعرب فيه أشعار»، (الحربي ١٩٦٩: ٥٨٧). جاء في معجم البلدان «الصريف موضع من النباج على عشرة أميال، وهو بلد لبني أسيد بن عمرو بن تميم معترض للطريق، به نخل». أما ابن بشر فقد ذكره في حوادث سنة ١٢٥٢هـ. وأشار الرحالة الأوروبي لوريمر إلى الصريف بأنه ماء شرقي القصيم ومرتع ترده البادية.

وارتبطت شهرة الصريف بأنه أحد محطات طريق الحج البصري الممتد من البصرة في العراق إلى مكة المكرمة. ويأتي الصريف بعد محطة النباج. أما شهرته في التاريخ الحديث فلأن الموقع ارتبط بموقعة الصريف التي حدثت عام ١٣١٨هـ بين

ابن صباح حـاكم الكويت ومن معـه من أهل القصيم، وعـبدالعزيز بن متعب بن رشيد أمير حائل، وانتصر فيها ابن رشيد.

ومن خـلال محطات طـريق الحج البصري في منطقة القصيم، يلاحظ أن الطريق يتفرع عند الصريف إلى فرعين: أحدهما يتجه إلى القُرَيَّة عبر قاع بولان، وآخر يتجه إلى قرية العسكرة، عبر نفود بريدة، فالقوافل تنصرف عند الصريف إلى إحدى القريتين.

صلبوخ

تقع صلبوخ فـي الجهة الشمالية من مدينة الرياض، على مسافة ٦٥كم، على خط الطول ٢٣َ ٤٦ْ شرقاً ودائرة العرض ٠٥َ ٢٥ْ شمالاً، وإلى الجنوب الغربي منها وبمسافة ٢,٥كم تقع بقايا مستوطنة قديمة لا زالت ماثلة حتى الآن. تبلغ مساحتها ١٣٠م×٢٠م، وتحتوي على عدة مساكن مختلفة، يشاهد فيها بوضوح توزيع الغرف التي يصـل ارتفاعها إلى ٦٠سم، بـينما سماكة جدرانها تصل إلى ٤٥سم.

وعلى بعد ٣٠٠م جنوباً من المستوطنة توجد بقايا سد طوله ٢٥م، بارتفاع يصل إلى متر واحد، بينما سـماكته من أعلى ١,٥٠م، ويشاهد بجانب السد، وبقرب سفح الوادي، بقايا غرف مختلفة الأحجام بنيـت من الحجارة. هذا بـالإضافة إلى وجود العديد من الأسوار الممتدة والمتقاطعة وبئر مندثرة حول تلك المستوطنة.

امتداد جداري لإحدى المستوطنات في صلبوخ

ويشاهد على سطح الموقع القليل من كسر الفخار والفخار المزجج، ومن خلالها يرجح أن الموقع يعود إلى القرن الثالث الهجري

ومن وصف هذا الموقع وما يحتويه من وحدات معمارية يتبين أنه مستوطنة زراعية. لا سيما أن وادي صلبوخ يعرف قديماً باسم الوتر، وادٍ تنتشر فيه النخيل والمساكن، وهذا ما أشار إليه كتاب صفة جزيرة العرب في وصفه لسدوس وقران والأحيسي (الحيسية) -وهي قريبة من صلبوخ- موضحاً أن وُتر هي حصون ونخيل لبني غُبَر (الهمداني ١٩٧٧ : ٢٨٥).

موقع الصَّوْرَة

الصَّورة

تقع على بعد ٣١كم إلى الجنوب من قلعة زمرد، على خط الطول ٣٥ ٣٨ْ

قلعة الصورة والبئر المجاورة لها

شرقاً ودائرة العرض٢ ٠َ ٢٦ْ شمالاً في منطقة المدينة المنورة. وهي إحدى محطات طريق الحج الشامي خلال العصرين المملوكي والعثماني.

وبها آثار للطريق يرجع تاريخها إلى العصر العثماني، تتكون من بئر كبيرة بنيت على نفقة والدة السلطان أحمد الأول، ١٠١٢هـ-١٠٢٦هـ، وهي من الآبار الواسعة على طريق الحج الشامي. وتقوم بجوار البئر قلعة عثمانية تماثل قلعة زمرد من حيث الشكل والتخطيط، بناها عثمان باشا حاكم دمشق وأمير الحج الشامي خلال الفترة من ١١٧٤- ١١٨٤هـ، كما توجد بالموقع بركة صغيرة مربعة الشكل.

الصُّوَيْدرة

الصويدرة بلدة تقع على خط الطول ١٣َ ٤٠ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٤َ ٤٣ْ شمالاً في منطقة المدينة المنورة، وتبعد عن الحناكية غرباً بحوالي ٣٨كم والمسافة بينها وبين المدينة المنورة ٦٢كم تقريباً. ولعل موضع الصويدرة هو الطرف قديماً، إحدى محطات طريق الحج من النقرة إلى المدينة المنورة، فالمسافة بين الطرف وبطن نخل (الحناكية) ٢٢ ميلاً عند الجغرافيين المسلمين وهذا يعادل ٣٧,٤ كم تقريباً. ووُصفت الطرف، وهي الصويدرة الآن، عند الجغرافيين بأنها منزل يكون

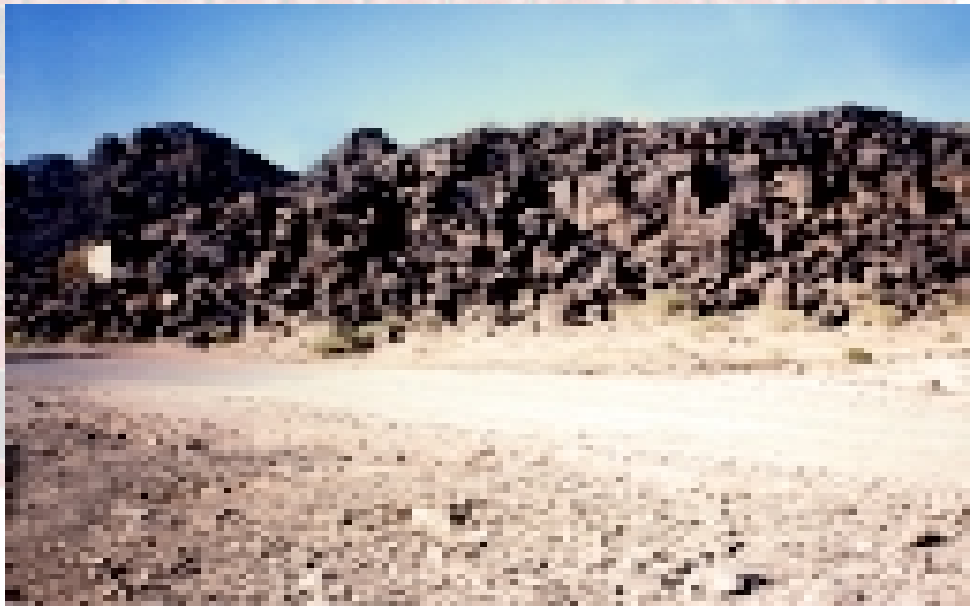

موقع الصويدرة

آهلاً أيام الحج وفيه ماء السماء من الغدران. ومنهم من قال إن فيها آباراً وبركاً.

وموضع الصويدرة ذو ميزة فريدة فهو ملتقى تجمع السيول وممر طبيعي لطرق القوافل، خاصة وأن المنطقة جبلية وعرة المسالك. وتساعد أوديتها وتضاريسها المحيطة على اجتماع مياه السيول والأمطار في بطن الوادي، ويمكن مشاهدة بعض القنوات الحجرية التي تمتد على الحافة الغربية للوادي. كذلك يمكن مشاهدة آثار لمقْبَرَةٍ على ربْوة تطل على الوادي من الجهة الغربية على يمين المتجه إلى المدينة المنورة.

ووادي الصويدرة من أغنى مناطق الحجاز بالكتابات الإسلامية والنقوش العربية القديمة والرسوم الآدمية والحيوانية من فترة عصور ما قبل التاريخ. وتشكل الكتابات الإسلامية الغالبية العظمى من كتاباته، فعلى الواجهات الصخرية لوادي الصويدرة الممتد غرب البلدة من الشمال للجنوب أمكن حصر ما يزيد على ١٢٠ نقشاً إسلامياً، والعدد يزيد عن ذلك بكثير. ومعظم النقوش عبارة عن أدعية لطلب التوبة والمغفرة والرحمة وإثبات الشهادة للأشخاص الواردة أسماؤهم فيها. ويتراوح عدد الأسطر في النقوش من سطرين إلى ستة، ووردت الأسماء

كتابات إسلامية على إحدى صخور موقع الصويدرة

فيها ثنائية وثلاثية وأحياناً رباعية. وتتصف نقوش الصويدرة بأنها غير منقطة ومعظمها غير مؤرخ. ومن دراسة أنماط الحروف والصيغ اللفظية يمكن تأريخ نقوش الصويدرة في الفترة ما بين القرن الأول والثالث للهجرة. وقد أمكن التعرف على ثلاثة نقوش مؤرخة بالسنين أقدمها مؤرخ بسنة ١٠١هـ وآخرها سنة ٢٤٩هـ.